علم المناسبات وعلاقته بالسياق

إعداد

أ.صبري زكي محمد الشطلة
باحث بقسم اللغة العربية
كلية الاداب – جامعه دمنهور

ا.د/ إيمان فؤاد بركات
أستاذ الادب والنقد العربى ورئيس قسم اللغة العربية بالكلية
وكيلا للكلية للدراسات العليا والبحوث– كلية الاداب – جامعه دمنهور

دورية الانسانيات – كلية الآداب – جامعه دمنهور
العدد (64)- الجزء الأول - لسنة 2025

علم المناسبات وعلاقته بالسياق

أ.صبري زكي محمد الشطلة

ا.د/ إيمان فؤاد بركات

ملخص البحث

إن القران الكريم له طرائق لتفسيره وبيان المراد منه ومن هذه الطرائق تفسير القرآن بدلالة السياق والمقصود بدلالة السياق هو مايحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية و خارجية لها أثر في فهمه من سابق ولاحق أو الغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه ، ولا يزال القرآن الكريم نبعًا فياضًا نرتوي من آيه، ونسقي أرواحنا من بركاته، وما زال الدرس البلاغي يغوص في أحرفه وسمط لآلئه؛ لاكتشاف أسراره من خلال كتب التفاسير التي تعتبر هي وأصحابها من سدنة القرآن الكريم، يقومون بخدمته، وتفسيره، وتجويده، وقد جاء في تعريف السياق بأن طريقة النظم التي يقتضيها بناء النص الأدبي مع مراعاة الحال والمقال.

ومن السياق المقالي علم المناسبات فهو تطبيق للسياق المقالي، والسياق المقالي يقصد به النص أو النصوص السابقة أو اللاحقة للنص المراد بيانه، وأحاول الوقوف على سياق المناسبة عند طنطاوي، بتتبع هذا العلم عنده، فوجدتُ منه الاهتمام. ومن الظواهر الصوتية المناسبة بين الصوت والمعنى في الخطاب، وبالنظر إلى المناسبة الصوتية نجد أنها ذو ملامح تركيبية، و ملامح أدائية غير تركيبية، تقع خارج البنية اللغوية تتمثل في: الإبدال ، والإدغام، ومن الظواهر الحركة في النظم الحكيم لم تأتِ اعتباطًا ولكن لكل مناسبة ومعنى خاص يفهم من خلال السياق، وهو ما يدل على الارتباط الوثيق بين العلامة الإعرابية ومناسبتها، والسياق الوارد فيه، فهي منظومة لا تتخلف في جلّ الذكر الحكيم.

Research Summary

The Holy Quran has methods for interpreting it and explaining what is meant by it. Among these methods is interpreting the Quran by the indication of the context. What is meant by the indication of the context is what surrounds the Quranic text of internal and external factors that have an effect on understanding it from the past and the future or the purpose for which it was presented and the atmosphere in which it was revealed. The Holy Quran remains a flowing spring from whose verses we quench our thirst and water our souls with its blessings. The rhetorical lesson continues to delve into its letters and the string of its pearls; to discover its secrets through the books of interpretations that are considered, along with their owners, to be the guardians of the Holy Quran, serving it, interpreting it, and reciting it. The definition of context has come as the method of organization that is required to construct the literary text while .taking into account the situation and the article

From the context of the article, the science of occasions is an application of the context of the article, and the context of the article means the text or texts preceding or following the text to be explained, and I try to stand on the context of the occasion according to Tantawi, by following this science with him, and I found interest from him. Among the phonetic phenomena is the occasion between sound and meaning in the speech, and by looking at the phonetic occasion, we find that it has structural features, and non-structural performance features, which fall outside the linguistic structure represented in: substitution, and assimilation, and among the phenomena, the movement in the wise system did not come arbitrarily, but for each occasion and a special meaning that is understood through the context, which indicates the close connection between the grammatical mark and its occasion, and the context in which it is mentioned, as it is a system that does not fail in most of the wise remembrance

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن ليكون للعالمين نذيرًا، وأصلي على النبي وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين .. أما بعد

لاشك أن القران الكريم له طرائق لتفسيره وبيان المراد منه ومن هذه الطرائق تفسير القرآن بدلالة السياق والمقصود بدلالة السياق هو مايحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية و خارجية لها أثر في فهمه من سابق ولاحق أو الغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه ، ولا يزال القرآن الكريم نبعًا فياضًا نرتوي من آيه، ونسقي أرواحنا من بركاته، وما زال الدرس البلاغي يغوص في أحرفه وسمط لآلئه؛ لاكتشاف أسراره من خلال كتب التفاسير التي تعتبر هي وأصحابها من سدنة القرآن الكريم، يقومون بخدمته، وتفسيره، وتجويده.

المطلب الأول : تعريف السياق.

ذهب ابن فارس أن " السين والواو والقاف" أصل واحد، وهو حدود الشيء: يقال ساقه يسوقه سوقًا والسَّيِّقة : مت استيق من الدواب ... والساق للإنسان وغيره والجمع سُوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها" [1] ، وفي المعجم الوسيط والوجيز " سِياق الكلام : تتابعُهُ وأُسلوبُهُ الذي يجري عليه" " ويقال : هو في السياق الاختصار " [2].

ويذكر الدكنور / مختار جمعة تعريفًا للسياق بأنه " طريقة النظم التي يقتضيها بناء النص الأدبي مع مراعاة الحال والمقال "[3] ، ثم يذكر الفرق بين نوعين من السياق :-

أ – سياق النص :

وهو ما تقتضيه نظم الكلام من اختيار الكلمة أو الجملة وتحديد بنيتها، وتركيبها، ووضعها موضوعًا خاصًا، تقديمًا أو تأخيرًا، ذكرًا أو حذفًا، أو تنكيرًا، فصلًا أو وصلًا إلى غير ذلك من مواقع الكلام ومواضعه .

ب – سياق الموقف :

ويقصد به الملابسات المصاحة للنص أو الأحوال أو الموقف التي ورد فيها النص أو قيل بشأنها [4] .

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار الفكر، ج3، صـ 117 .
(2) المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1999م -2000م ، صـ 330. انظر المعجم الوسيط،الناشر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، ط الرابعة 1429هـ - 2008م، صـ 465
(3) دلالة السياق وأثرها في النص الأدبي دراسة نقدية، محمد مختار جمعة مبروك، صـ 1274 .
(4) دلالة السياق ، محمد مختار جمعة ، مرجع سابق صـ 1275 .

المطلب الثاني : علم المناسبات

علم المناسبات تطبيق للسياق المقالي، والسياق المقالي يقصد به النص أو النصوص السابقة أو اللاحقة للنص المراد بيانه، ٹ ٹ چ ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ چ[5] فالموعود في الآية هو الحساب والبعث بدلالة السياق اللاحق في قوله تعالى چ ئۈ ئۈ ئې ئې چ [6] وهذه الآية تقرير لما قبله أي الجزاء على الأعمال لواقع، " والمناسبة من أروع الصور البلاغية التي جاءت في القرآن الكريم وعلمها يعتبر سرًا من أسرار بلاغته لأدائه إلى تحقيق معانيه لمقتضى الحال" [7] ، جاء في كتاب البلاغة القرآنية، للدكتور محمد أبو موسى " دراسة المعاني والقول في صحتها ونتاقضها وأنواعها وأجناسها وتآخيها وتناسبها ومحاولة الكشف عن الأسس التي سار عليها نسق الجمل والآيات وكيف تترابط وتتوحد حتى كأن يأخذ بعضها بعجز بعض، وهذا بحث هام في قضايا النقد، ولكنه ظل بعيدًا عن الدرس الأدبي يمثل علم المناسبة في علوم القرأن، وقد قال المتخصصون : إنه أى – علم المناسبة – علم شريف لم يحاوله إلا قلة من العلماء لدفنه وصعوبة مسلكه، والذين حاولوه كانوا جميعًا من الأدباء المشهود لهم بصفاء النفس وسلامة الحس، وقد قال أبو بكر النيسابوري إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية والقوية بين آياته وسوره حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة ترتيبًا وتمسكًا" [8] .

علــمُ التناسبُ للسـور علـمُ جليـلٌ ذو خطـر
قد قـلَّ فيــه الكاتـبون كما قد عزَّ المسُـتطر
وابن الزبير في برهـانه قد كان أول من سطر [9]

يقول الدكتور: إبراهيم الهدهد:" يمكننا أن نَعد علم المناسبات في تراثنا تطبيقًا لمفهوم السياق المقالي فقد نظروا إلى التناسب الآيات والسور" [10]، فالمتناسب والسياق بينهما تقارب وتشابك ، فالتناسب قائم على معرفة العلاقة والصلة بين النصوص، والسياق هو انسجام وتقارب النصوص والألفاظ والمعاني ضمن السياق الوارد فيه .

---

(5) سورة الذاريات، آية (5)
(6) سورة الذاريات، آية (6)
(7) البديع في القرآن عند المتأخرين وأثره في الدراسات البلاغية، دخيل الله بن محمد الصحفي، صـ 156 .
(8) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد أبو موسى، دار الفكر العربي، صـ 12 .
(9) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، صـ 2 .
(10) اثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية ، إبراهيم الهدهد، ط دار الكتب المصرية، صـ 30

والمناسبة في اللغة المشاكلة، يقال : بين الشيئين مناسبة وتناسب : أي مشاكلة وتشاكل أو كذا قولهم لا نسبة بينهما، وبينهما نسبة قرينة" [11] ، وفي البرهان" المناسبة المقاربة، وفلان يناسب فلانًا، أي يقرب منه ويشاركه، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل" [12]

إذن المناسبة ترجع إلى الاتصال، والقرابة، والمشابهة، وهو علم " ارتباط أى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، ومنتظمة المباني " [13] ، " وتعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة" [14] ، " فآيات القرآن الكريم وسوره، تتسق في تناسب عجيب، وترتبط بعضها مع بعض، في تأليف بديع غريب، بحيث لو وضعت آية مكان غيرها، أو سورة في غير موضعها، اختل الاتساق والتناسب، وتفكك الإرتباط والتأليف، وهذا مما اختص به القرآن العظيم، وكان وجهًا من وجوه إعجازه المتعددة" [15] .

أحاول الوقوف على سياق المناسبة عند طنطاوي، بتتبع هذا العلم عنده، فوجدتُ منه الاهتمام من أول تفسيره إلى آخره، فيذكر المناسبة في المجلد الخامس عشر، وذلك عند تفسيره لسورة المسد في قوله تعالى چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ چ [16] ، الله سبحانه ذكره بكنيته چ ﮘ ﮙ چ ومع أنه كان يكنى بأبي عتبة تكنية باسم ابنه " ووصف – سبحانه – النار بأنها چ ﮛ ﮜ چ لزيادة تقرير المناسبة بين اسمه وكفره ، إذ هو معروف بأبى لهب ، والنار موصوفة بأنها ذات لهب شديد "[17] .

اهتم طنطاوي ببيان وجوه المناسبة بين السور إن وجدَت المناسبة، وبين الآي بعضها مع بعض فيذكر كلمة المناسبة، والتناسب، والاتصال ، وأحيانًا يقرن كلمة المناسبة بالسياق كما في تفسير قوله تعالى چ ﯓ ﯔ چ البقرة: ٢٥٥ فيذكر أن الكرسي هنا معناه العلم " ولعل تفسير الكرسي بالعلم كما قال حبر الأمة هو أقرب الأقوال إلى الصواب، لأنه هو المناسب لسياق الآية الكريمة "[18].

---

(11) تاج العروس، ج4، صـ 265 .
(12) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1، صـ 36 .
(13) البرهان، ج1، صـ 37 .
(14) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، تحقيق : عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، ج1، صـ 142 .
(15) جواهر البيان في تناسب سور القرآن، للغماري ، صـ 170 .
(16) سورة المسد، آية (3)
(17) تفسير الوسيط، ج15، صـ 537 .
(18) تفسير الوسيط، ج1، صـ 586 .

المطلب الثالث : المناسبة الصوتية .

الصوت هو أصغر وحدة ذو سمات خاصة في الكلمة، على أساسه تتضح دلالتها اللغوية، من خلال صفاته، ومخرجه، وموقعه في الكلمة داخل التراكيب، في ترتيب وانسجام سياقي متكامل، وبالنظر إلى المناسبة الصوتية نجد أنها ذو ملامح تركيبية، و ملامح أدائية غير تركيبية، تقع خارج البنية اللغوية تتمثل في: الإبدال ، والإدغام، والنبر، والتنغيم، والوقف والابتداء والوصل والإمالة والمد والقصر .....الخ من الظواهر الصوتية الأدائية التي ترتبط بالأداء الكلامي بشكل تام، ولا شك أن المناسبة بين الصوت والمعنى في الخطاب فكرة قديمة.

ففي قوله تعالى : چ ٻ ٻ ٻ ٻ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ [19] ، فكلمة بصطة مرادف لكلمة بسطة بالصاد، والظاهر أن طنطاوي جعل بصطة هنا بمعنى سعة الرزق وقوة الجسم فقال : : زادكم في المخلوقات بسطة وسعة في الملك والحضارة ، أو زادكم بسطة في قوة أبدانكم وضخامة أجسامكم ، ومن حق هذا الاستخلاف وتلك القوة ، أن تقابلا بالشكر لله رب العالمين".[20] فحرف الصاد أقوى من حرف السين فهو حرف تفخيم وتضخيم ولذا نجد الإبدال موافق لمعنى القوة المراده – والله أعلم – .

ومنه قوله تعالى : چ ې ې ى ى ئا ئا چ [21] ، فكلمة مصيطر مأخوذة من (سطر) فقد أبدلت السين صاد، يقول طنطاوي :" والمصيطر : هو المتسلط ، المتجبر ، الذي يجبر الناس على الانقياد لما يأمرهم به.وقد قرأ الجمهور هذا اللفظ بالصاد ، وقرأ ابن عامر بالسين.أى : إذا كان الأمر كما بينا لك . أيها الرسول الكريم . من أحوال الناس يوم الغاشية ، ومن أننا نحن الذين أوجدنا هذا الكون بقدرتنا .. فداوم . أيها الرسول الكريم . على دعوة الناس إلى الدين الحق ، فهذه وظيفتك التي لا وظيفة لك سواها ، وكل أمرهم بعد ذلك إلينا ، فأنت لست بمجبر لهم أو مكره إياهم على اتباعك ، وإنما أنت عليك البلاغ ونحن علينا الحساب" [22] . فيشير طنطاوي إلى المناسبة التي جاءت بين الصوت المفخم والموقف فكان إبدال حرف السين صاد، فكما ذكر طنطاوي بأن الخطاب في هذه الآية للرسول – صلى الله عليه وسلم – فأنتَ يا محمد لست تجبرهم على الإيمان فدعك من التجبر، ولا

([19]) سورة الآعراف آية (69)
([20]) الوسيط، ج5، صـ 305.
([21]) سورة الغاشية، آية (22)
([22]) الوسيط ،ج15، صـ379.

تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون، لأن الهداية من الله، ولما كانت الهداية من الله والسيطرة له جاءت بالصاد المفخمة والمناسبة للموقف، لأن السين المهموسة في الغالب دالة على اللين.

ومن الظواهر الصوتية ظاهرة الإدغام ففي قوله تعالى: چ ٹ ٹ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ چ [23] ، فكلمة (يُهدى) أصلها يهتدي الدالة بنبرتها ونغمتها على الثقل للذين لا يهتدون إلا بهداية الله لهم، يقول الطاهر ابن عاشور :" والاستثناء في قوله :﴿إلا أن يهدى﴾ تهكم من تأكيد الشيء بما يشبه ضده. وأريد بالهدي النقل من موضع إلى موضع أي لا تهتدي"[24]، وإلى هذا الثقل والخذلان في أمر الهداية أشار طنطاوي بقوله :" أفمن يهدى إلى الحق أحق بالاتباع ، أم من لا يستطيع الهداية إلا أن يهديه إليها غيره أحق بالاتباع؟" [25].

ومما ورد في السياق الصوتي (النبر)[26] الذي يرتبط بسياق الحال وما أشار إليه طنطاوي في الوسيط ما جاء في قوله تعالى: چ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڦ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ چ [27] ، هذه الاية وما قبلها تحكي ما قاله الحواريون لعيسى – عليه وعلى بينا السلام – وما طلبوه منه من إنزال مائدة من السماء، يقول طنطاوي : وقوله : **(مُنَزِّلُها)** ورد فيه قراءتان متواتران، إحداهما : منزلها . بتشديد الزاى . من التنزيل وهي تفيد التكثير أو التدريج كما تنبئ عن ذلك صيغة التفعيل. وبهذه القراءة قرأ ابن عامر وعاصم ونافع.

وقرأ الباقون **(مُنْزِلُها)** بكسر الزاى . من الإنزال المفيد لنزولها دفعة واحدة، والمعنى : قال الله . تعالى . إنى منزل عليكم المائدة من السماء إجابة لدعاء رسولي عيسى . عليه‌السلام . **(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ)** أى فمن يكفر بعد نزولها منكم أيها الطالبون لها **(فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ)** أى : فإن الله . تعالى . يعذب هذا الكافر بآياته عذابا لا يعذب

---

[23] سورة يونس، آية (35)
[24] التحرير والتنوير، ج11، صـ 163
[25] الوسيط، ج7، صـ 68.
[26] قال ابن الأنباري:"النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو، عرَّف الدكتور تمَّام حسان النبر بأنه: "ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها. ينظر : اللغة العربية معناه ومبناها، تمام حسان ، ص 170.
[27] سورة المائدة، آية (115)

مثله أحدا من عالمي زمانه أو من العالمين جميعا "[28] . يشير طنطاوي إلى السياق الصوتي، فقد أفصحت قراءة النبر بتشديد الزاي على كثرة الإنزال بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير، فيه دلالة تأكيد على تحقق نزول المائدة من السماء عليهم أكثر من مرة، فكان التشديد أقرب لحالهم وسؤالهم.

ومما ورد في (التنغيم) [29] الذي يلعب دورا كبيرا في الكشف عن معاني الألفاظ والأساليب داخل النظم ووفقا لسياق الحال والمقام، وهذا ما حرص عليه طنطاوي في الكشف عن العلاقة بين الصوت والدلالة.

في قوله تعالى : چ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ [30] ، الخطاب في هذه الاية للرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من المؤمنين للثبات والمصابرة على مخالفة الكفرة، " قال قتادة والسدى وأكثر المفسرين : نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد" [31]، اعتمد طنطاوي في بيان معنى هذه الآية على قرائن السياق الخارجي، وفيما ذكره من أقوال أهل اللغة في أنَّ (أَمْ) هنا للاستفهام الإنكارى ،أو متصلة ، أو المنقطعة بقوله " والمعنى على أن (أَمْ) للاستفهام الإنكارى : أظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان دون أن يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من شدائد في الأنفس والأموال ، ومن مخاوف أزعجتهم وأفزعتهم حتى بلغ الأمر برسولهم وبالمؤمنين معه أن يقولوا وهم في أقصى ما تحتمله النفوس البشرية من آلام : متى نصر الله؟!! لا . أيها المؤمنون . إنى أنهاكم أن تظنوا هذا الظن ، وآمركم أن تتيقنوا من أن الظفر بدخول الجنة يستلزم منكم التأسى بمن سبقكم من المتقين في الصبر والثبات، والمعنى على أن (أَمْ) هنا هي المتصلة . أى المشعرة بمحذوف دل عليه الكلام . : قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب واهتدوا إلى الحق فآذاهم الناس أذى شديدا فصبروا على ذلك أفتصبرون مثلهم على المكاره وتثبتون ثباتهم على الشدائد؟ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون أن يصيبكم ما أصابهم؟، والمعنى

([28]) الوسيط، ج4، صـــ 342.

([29]) النغمة جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، انظر: لسان العرب مرجع سابق، مادة " نغم" جزء 12، ص 590.، ويعرفه الدكتور رمضان عبد التواب بأنه: "رفع الصوت وخفضه في أثناء الكلام للدلالة على المعاني المختلفة للجملة الواحدة"، انظر : المدخل إلى علم اللغة ، رمضان عبد التواب ، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ، 1997م، ص 106.

([30]) سورة البقرة، آية (214)

([31]) الوسيط، ج1، صـــ 462.

على أن (أَمْ) هنا منقطعة . أى تدل على الإضراب والاستفهام معا . : لقد أوذيتم أيها المؤمنون في سبيل دينكم أذى عظيما ، فعليكم أن تصبروا وأن تثبتوا كما فعل الذين من قبلكم ، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء وصبر .. أى : بل أحسبتم .. إن كان هذا هو حسبانكم فهو حسبان باطل لا ينبغي لكم" [32]. وهكذا نجد أن طنطاوي كشف عن التنغيم معتمدا على السياق الخارجي والثقافي لمعرفته بعلوم العربية ، حيث ذكر قراءة التنغيم في الكشف الكشف عن أسرار القرآن، فكان سياق التنغيم مع السياق العام للآيات، حيث يحمل معاني متنوعة.

وهكذا استطاع طنطاوي الكشف عن دور السياق الصوتي في وضوح الدلالة وتوجيه الكلام وتحقيق الغاية السياقية منه.

المطلب الرابع : المناسبة الحركية.

الحركة الإعرابية من أصول البضط للقواعد الإعرابية، وهذا من أسرار اللغة العربية والإعجاز القرآني، وهذه الحركة وسيلة للتفريق بين دلالات مختلفة، ، فالحركة في النظم الحكيم لم تأتِ اعتباطًا ولكن لكل مناسبة ومعنى خاص يفهم من خلال السياق، وهو ما يدل على الارتباط الوثيق بين العلامة الإعرابية ومناسبتها، والسياق الوارد فيه، فهي منظومة لا تتخلف في جلّ الذكر الحكيم، ومن الشواهد القرآنية عند طنطاوي .

ففي قوله تعالى : چ ٱ ب ب ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ چ [33] ،بين طنطاوي القراءات الواردة في " (عَلَيْهُ) قرأها حفص بالضم ، توصلا إلى تفخيم لفظ الجلالة ، الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام ، وقرأها الجمهور بالكسر"[34]. فاللغة المطردة في ضمير الغائب المسبوق بياء أو كسرة فإنه يكسر، والشواهد كثير في الذكر الحكيم إلا في هذه الآية جاء الضمير مضمومًا وهذه الضمة مناسبة في هذا المقام، وقد أشار طنطاوي إلى المناسبة وإلى سياق المقام بأن قراءة الضم ملائمة لتفخيم وتعظيم أمر البيعة، ومما يؤكد أمر البيعة قوله تعالى چ ڀ ڀ پ پ پ ڀ چ يقول الآلوسي" وقرأ الجمهور (عليه) بكسر الهاء كما هو الشائع وضمها حفص هنا، قيل: وجه الضم أنها هاء هو وهي مضمومة فاستصحب ذلك كما في له وضربه، ووجه الكسر رعاية الياء وكذا في إليه وفيه وكذا فيما إذا كان قبلها كسرة نحو به

([32]) الوسيط، ج1، صـ 463.
([33]) سورة الفتح، آية (10)
([34]) الوسيط، ج13، صـ 267.

ومررت بغلامه لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم، وحسن الضم في الآية التوصل به إلى تفخيم لفظ الجلالة الملائم لتفخيم أمر العهد المشعر به الكلام، وأيضا إبقاء ما كان على ما كان ملائم للوفاء بالعهد وإبقائه وعدم نقضه"[35] فكانت البيعة أمرًا عظيمًا، وهو من أثقل العهود لأنه عهد على الموت وفي هذا تصريح من طنطاوي بمراعاته مناسبة قراءة الضم في الكشف عن المعنى .

وفي قوله تعالى : چ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ چ [36]، القرآن الكريم استعمل كلمة (كره) بالضم والفتح ، يقول طنطاوي :" **(كُرْهاً)** قرئ بضم الكاف وفتحها ، وهما قراءتان سبعيتان ، قالوا : ومعناهما واحد كالضّعف . بتشديد الضاد وفتحها أو ضمها . فهما لغتان بمعنى واحد،وهذا اللفظ منصوب على الحال من الفاعل. أى : حملته أمه ذات كره. ووضعته ذات كره ، أو هو صفة لمصدر مقدر ، أى : حملته حملا ذا كره ، ووضعته كذلك، ولا شك في أن الأم تعانى في أثناء حملها ووضعها لوليدها ، الكثير من المشاق والآلام والمتاعب .. فكان من الوفاء أن يقابل ذلك منها بالإحسان والإكرام."[37]، وكلمة (كره) بفتح الكاف للدلالة على المعاناة النفسية كما في قوله تعالى: چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ چ ([38]) ، نزلت هذه الآية في بعض المنافقين في غزوة تبوك الذين لا يريدون الخروج فقالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم – : ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به، فاستعمل القرآن لفظ (كرها) بالفتح ليدل على المعاناة النفسية، وفي آية الأحقاف تجد المعاناة الجسدية للحمل والوضع فناسبت حركة الضم لمعاناة الأم في حملها ووضعها فحملته حملا ذا كره ، ووضعته كذلك فحركة الضم هنا أعطت بعدًا قويًا يكاد يجسد العناء والمشقة في الحمل والوضع، قال الراغب:" قيل الكره أي بالفتح المشقة التي تنال الإنسان من خارج مما يحمل عليه بإكراه والكره ما يناله من ذاته وهو ما يعافه من حيث الطبع أو من حيث العقل أو الشرع."[39] ومن هنا ندرك سر الاختيار القرآني لحرك الكاف الذي آل باللفظة إلى هذه المعاني المتناغمة والمتآلفة في سياق الآية، فالسياق هو من أفصح عن هذا المعنى

([35]) روح المعاني ،ج25، صـ 252.
([36]) سورة الأحقاف، آية (15)
([37]) الوسيط، ج، 13، صـ 191.
([38]) سورة التوبة ، آية (53)
([39]) روح المعاني ، ج25، صـ 81.

يمكن القول: بأن طنطاوي عني بالسياق في شتى جوانبه، كاشفا من خلاله عن الدلالات والمعاني الدقيقة، كما تبين من خلال الدراسة أن طنطاوي جمع في تفسيره بين السياق الداخلي والخارجي معا، فجعل من السياق بوجه عام آلية اعتمد عليها في تفسيره وشرحه،مما ترتب على ذلك من فوائد جمة ومعان عظيمة، أدت به إلى الكشف الصحيح لمعاني النصوص بدقة عالية ، ما دفع إلى الاعتراف بفضله وعلو مكانته، وارتفاع منزلته في علم التفسير والتأويل ، فرحم الله الشيخ طنطاوي على ما قدمه من علم نافع في خدمة كتاب الله – عز وجل .

الخـــاتمـــــة

لقد صاحبت شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور " محمد سيد طنطاوي" أكثر من أربع سنوات حاولت أن أتعرف على حياته، كما حاولت أن أكشف مكنون الشيخ ومنهجه من خلال تفسيره " الوسيط" فكانت نتيجة هذه المصاحبة أن قدم الباحث محاولة متواضعة لدراسة، ﴿**فِقْهُ السِّياقِ فِي تفْسِيرِ النَّصِ القرآنِي دِراسَةٌ موضوعية فِي تفسيرِ" الوَسيط " لِلإمَامِ الأكْبرِ مُحَمد سيّد طَنْطَاوِي شَيْخُ الأزْهرِ**)، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي

1. رعاية السياق من أهم أدوار المفسر لفهم مراد الله.
2. كان طنطاوي – رحمه الله – من المفسرين الذين اهتموا بالسياق وكان هو الفيصل في كثير من المسائل التي تعرض لها.
3. اعتمد طنطاوي على السياق في تفسيره للنص القرآني وظهر أثره في علوم مرتبطة بالتفسير كأسباب النزول، والترجيح والتضعيف بين الأقوال.
4. كما قدم طنطاوي السياق من خلال المقاصد والتناسب والمناسبات
5. كشف طنطاوي عن الجانب البلاغي للسياق في تفسيره للقرآن الكريم وذلك عن طريق التصريح حينا و الإشارة حينا آخر.
6. يسهم موضوع الدراسة في تقويم بعض أقوال طنطاوي في ضوء قاعدة السياق حيث إن أكثر ترجيحاته في ضوء قاعدة السياق، وعند تنازع القاعدة يقدم الأقوى، ومن خلال تفسيره يتم تنقية ما في كتب التفاسير من أقوال دخيلة أو إسرائيليات.
7. كما كشفت عن أهمية مراعاة السياق في دراسة النص ودورها في جلاء المعنى ووضوحه.

القرآن الكريم معين لا ينضب وما زلنا في حاجة إلى كثير من الدراسات للكشف عن أنواره أسراره

يوصي البحث بدراسة المسائل النحوية، والقراءات القرآنية وبدراسة علم المناسبات في التفسير الوسيط حيث كان لهذا الجانب حضور كبير في تفسيره للقرآن الكريم.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم .
2. المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1999م –2000م
3. المعجم الوسيط ،الناشر: مجمع اللغة العربية – مكتبة الشروق الدولية، ط الرابعة 1429هـ – 2008م.
4. دلالة السياق وأثرها في النص الأدبي دراسة نقدية، محمد مختار جمعة .
5. البديع في القرآن عند المتأخرين وأثره في الدراسات البلاغية، دخيل الله بن محمد الصحفي .
6. البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، محمد أبو موسى، دار الفكر العربي .
7. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة .
8. أثر السياق في اصطفاء الأساليب دراسة بلاغية ، إبراهيم الهدهد، ط دار الكتب المصرية .
9. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي ، تحقيق محمد حجازي، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام بالكويت.
10. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار التراث .
11. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، للبقاعي، تحقيق : عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف .
12. جواهر البيان في تناسب سور القرآن، عبد الله محمد الصديق الغماري، مكتبة القاهرة.
13. المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1417هـ، 1997م.
14. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،شهاب الدين أبي الثناءمحمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، تحقيق ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 2010م.
15. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، طبعة الدار التونسية للنشر.
16. التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، طبعة نهضة مصر.